

الجاموس كمن من أركان الثروة القومية

للدكتور عبد المنعم عاشور

ينظر الفلاح المصرى إلى الجاموس نظرة خاصة فيعتبره مصدرا هاما من مصادر ثروته وسببا قويا من أسباب رخائه وسعادته يعتمد عليه في الحصول على لبنه وسمته وجبنه كما يلقى عليه عبء انقيام مختلف الأعمال الزراعية في حقله .

ولا يقتصر تأثير الجاموس على الحالة المالية للفلاح بل يتعداها إلى حالته الصحية إذ من المسلم به أن تغذية كثير من صغار الفلاحين ناقصة من حيث نوع الغذاء فتوفير اللبن ومشتقاته يسد كثيرا من هذا النقص ويحول دون إصابة الفلاح ببعض الأمراض التي غالبا ما تعزى إلى نقص التغذية أو إلى افتقار الغذاء إلى بعض العناصر الهامة .

أما من حيث مركز الجاموس في الثروة الزراعية فهو عامل هام ويتضح ذلك إذا علمنا أن بمصر من الجاموس نحو ثمانمائة ألف جاموسة ويقدر الخبثيون ما يعطيه الجاموس لمصرى من اللبن والتاج والساد البلدى بنحو عشرة ملايين من اجنبيات .

لاشك أن هذا مبلغ ضخم يسترعى النظر ويستوجب لاهتمام فهو يعادل ٤٠٪ من قيمة محصول القطن في العام .

ولا يفوتنا أن محصول قطن مصرى رهين بما يصيبه من الآفات المختلفة والحشرات المتعددة التي كثيرا ما تؤدي إلى نقص محصول ، كما أن سعر القطن يقع تحت تأثير تقلبات الأسواق ، أما المنتجات الحيوانية بصفة عامة فتكاد تكون ثابتة من حيث الكمية وأسعارها متقاربة علاوة على أن الطلب عليها دائم .

لاشك أن هذه المقارنة تظهر لنا أهمية الجاموس بالنسبة لغيره من مصادر الثروة الزراعية كما تشهد بأنه ركن هام من أركان الثروة القومية في مصر .

ولا يخفى أن الجاموس المصرى لا زال على حالته الأولى لم تتناول يد التحسين كما أن المجهودات التي بذلت لرفع إنتاجه من اللبن والدهن بمجهودات ضئيلة ، فمن المحقق إذن أن أهمية الجاموس بالنسبة للثروة القومية سترداد بزيادة العناية به .

وما يزيدنا يقينا في أن أى مجهود يبذل في سبيل تحسين الجاموس المصرى سيأتى بالنتيجة المرجوة ما دام هذا المجهود قائما على أسس سليمة وقواعد ثابتة ، إن الجاموس المصرى من أصل طيب ومن أحسن أنواع الجاموس وأوفرها إنتاجا ويشترك مع الجاموس المصرى فى الأصل الجاموس الإيطالى والرومانى وغير ذلك من جواميس حوض البحر الأبيض المتوسط .
ونقد تنبهت تلك البلاد إلى أهمية الجاموس واستفادت بجودة نوع جاموسها ، فأولته عناية خاصة وبذلت مجهودا كبيرا فى سبيل تحسينه حتى رفعت إنتاجه إلى ما يقرب من ضعف محصول جاموسنا .

وليس هناك فرق بين الجاموس المصرى وجاموس تلك البلاد إذ هما متفقان فى الأصل والمنشأ ، ولكن اهتمت تلك البلاد بجاموسها وبذلت المجهودات المتواصلة لتحسينه ورفع إنتاجه ، أما جاموسنا فقد ظل منسيا حينما من الدهر حتى صار إنتاجه أقل من غيره .

والآن وقد بينت أهمية الجاموس بالنسبة للفلاح وأظهرت مركزه فى الثروة الحيوانية يهمنى أن أذكر شيئا عن محصول الجاموس المصرى من اللبن والدهن وهو على حالته الراهنة ثم مقارنته بالأبقار المصرية كإشياء لبن .

فمتوسط ما تعطيه الجاموسة فى موسم الحلب الكامل يبلغ نحو ٤٠٠٠ رطل من اللبن وقد يفوق محصول بعض الأفراد هذا المتوسط إذ أعطت جاموسة ٨٠٠٠ رطل من اللبن فى موسم حلب واحد وأعطت أخرى ٩٠٠٠ رطل ووصلت ثالثة فى إدرارها إلى ١٠٢٠٠ رطل من اللبن .

لاشك أن مثل هذه الإفرازات العالية ندر ونكن وجودها دليل على أن بين الجاموس المصرى أفرادا ذات كفاءة إنتاجية عالية وقدرة كبيرة على إدرار اللبن مما يؤيد جودة نوع الجاموس المصرى .

كما أنه يمكن اتخذه هذه الأفراد أداة إصلاح ونواة للتحسين ، أما من حيث محصول الجاموس المصرى من الدهن فقد كان متوسط جميع التحاليل ١.٧٢٥٪ ومعنى ذلك أن الجاموسة تعطى فى المتوسط نحو ٣٠٠ رطل من الدهن أو ما يقرب من هذا القدر من السمن .

هذا وقد يفوق بعض الأفراد هذا الإنتاج فتعطى الجاموسة ما يقرب من ٦٠٠ رطل من السمن فى الموسم الواحد وهذا محصول لا يستهان به .

من هذا يمكن القول إن الجاموس المصرى وهو على حالته الأولى يعطى محصولا مناسباً من اللبن والدهن لا سيما إذا قورن هذا المحصول بنظيره فى حالة الأبقار المصرية .

فالأبقار المصرية تعطى محصولا من اللبن يقدر بنحو ٢٠٠٠ رطل خلال موسم الحلب الكامل ونسبة دهن حوالي ٤,٥ ٪ ومعنى ذلك أن ابقرة تعطى في المتوسط نحو ١٠٠ رطل من الدهن أو ما يقرب من هذا القدر من السمن .

هذه البيانات تدل على أن الجاموسة تعطى محصولا من اللبن يبلغ في متوسطه قدر ما تعضيه بقرتان أما من حيث السمن فتعطى ما يقرب من محصول ثلاث أبقار .
لذا كان الواجب يحتم علينا حكومة وشعبا أن نغنى بالجاموس وأن نعمل على تحسينه ورفع محصوله .

فالحكومة مسئولة بوجه عام عن تحسين الجاموس وإيجاد سلالات تعطى محصولا وفيرا من اللبن والدهن ، ذلك لأن تحسين أى نوع من الماشية يحتاج الى مجهود متواصل لا تتحمله الأفراد كما يستلزم مبالغ طائلة لا تتسع لها مالية الأفراد ، لذلك يلي مثل هذا العمل على عائق الحكومات والهيئات الكبيرة .

ولم تحجم الحكومة المصرية عن القيام بواجبها في هذا الصدد ، فوضعت مشروعا عاما يرمى الى تحسين الجاموس المصرى ، وقد كان ذلك في عهد حضرة صاحب المعالي محمود توفيق حفاوى بك وزير الزراعة السابق واليه يرجع الفضل الأكبر في تنفيذه .

ويرمى هذا المشروع إلى تربية أفراد ممتازة من الجاموس عرفت بعلو إدرارها ثم ينتخب من نتاجها فحول لها كفاءة كاملة عالية لإدرار اللبن والدهن وبعد اختيار هذه الفحول ومعرفة قدرتها على توريث النسل صفاتها وقدرتها على رفع محصول بناتها من اللبن والدهن ترسل الى جهات القطر المختلفة لتقوم بتفقيح جاموس الأهلى .

لاشك أن الأساس الذى بنى عليه هذا المشروع أساس سليم ، وأن الطريقة التى اتبعت فيه طريقة موصلة للفرص المطلوب ، ولكن كثيرا من مشاريع تربية الحيوان يحتاج الى وقت طويل فليس هناك مجال للسرعة فى الحكم عليه ، فمن المحقق أنه باستمرار استخدام الفحول المتخبرة الممتازة ورفع مستوى الانتخاب فيها جلا بعد جيل سيتحسن التركيب الوراثى فى الجاموس المصرى ويزداد محصوله من اللبن والدهن .

كذلك ساهمت الميئات العامية والزراعية فى حركة تحسين الجاموس ، فجهود الجمعية الزراعية الملكية فى هذا الموضوع لا ينكر ، فقد بدأت تهتم بالجاموس وانتخابه منذ عهد قديم كما نظمت لذلك المعارض والمسابقات ولا زلنا حتى الآن نجد أفرادا عديدة من الجاموس العالى الإدرار يرجع فى أصله الى جاموس الجمعية الزراعية .

كما يقوم قسم تربية الحيوان بكلية الزراعة بدراسة الجاموس من نواحيه المتعددة العلمية منها والعملية حتى يمكن فهم حقيقة تركيبه وطبيعة وراثته الإنتاج فيه وغير ذلك من المعلومات التى تساعد على تحسين الجاموس المصرى ورفع إنتاجه .

كذلك قام هذا القسم بإجراء انتخاب بين الجاموس حتى وصل الى مستوى عال من الانتاج ولى تكوين قطع من أفراد ممتازة في ادراها وإنتاج حول لها قدرة على رفع محصول بناتها من اللبن ودهن .

وقد أخذ القسم في إرسال هذه الفحول الى التفتيش والحيث التي بها عدد كبير من الجاموس رغبة في تحسين نسلها ورفع إنتاجه .

هذا هو ملخص الدور الذي تقوم به الحكومة وهيئات العلمية والزراعية في سبيل تحسين الجاموس المصرى وهذا الدور وحده ليس كافيا للوصول الى الغرض المطلوب بل لا بد ان يقترن بجهود آخر من جانب الأفراد حتى تتمكن الحكومة وهيئات من أداء مهمتها وإتمام رسالتها .

ولمى القراء موجزا عما يجب ان يقوم به الأفراد في هذا الصدد .

فالصلاح يعتمد في انتخابه لجاموسه على شكلها الخارجى فيراعى نقطا خاصة في جسمها كحجم الضرع واتساع الحوض وغير ذلك من الصفات الخارجية إذ يعتقد أن قدرة الجاموسة على إعطاء محصول وفير من لبن ودهن مرتبطة بهذه الصفات .

والحقيقة أن هذا الاعتقاد خاطئ فلا يرتكن على أساس علمى إذ أثبت التجارب أن العلاقة بين محصول الحيوان من اللبن والدهن وشكله الخارجى علاقة ضعيفة جدا ، فكثيرا ما نجد جاموسة تتفق في مظهرها وشكلها مع النموذج المرسم في مجلة المربي أو المشتري ولكنها لا تعطى محصولا كبيرا من اللبن والدهن ، وبالعكس قد تكون الجاموسة ذات شكل غير مقبول ومظهر غير مرغوب فيه ، ومع ذلك فمحصولها من اللبن والدهن وفير .

لذلك كان واجبا على المربي والمزارع أن يعتمد في انتخابه للجاموسة وفي تقديره لقيمتها وثمنها على محصولها من اللبن والدهن فهذا هو الشاهد الحق على كفاءتها الإنتاجية .

ولمأ كانت سجلات الإدرا في مصر غير متوافرة فيمكن للمشتري أن يتفق مع البائع على أن تبقى الجاموسة في حيازته مدة من الزمن ولكن أسبوعا يختبر خلالها محصول الجاموسة من اللبن ويعرف نسبة الدهن فيه إما بالطريقة البلدية أو بإحدى الطرق الأخرى التي قد تتوفر لديه .

ويسرنى أن هذه الطريقة وهى الاختبار قبل الشراء آخذة في الانتشار لاسيما بين كبار المربين وهيئات الزراعة .

فلو عم انتشار هذه الطريقة لأمن المربي شر الخطأ في انتخاب الجاموسة حسب شكلها ومظهرها ، وبذلك نضمن قصر التربية على الأفراد العالية الإدرا دون سواها ودفع ثمن الحيوان بما يتفق وحقيقة قيمته .

كذلك يهمل الفلاح المصرى أمر الطلوقه والعناية بانتخابها فيلقح جاموسه بأقرب محل لديه بصرف النظر عن كفاءته الكامنة وقدرته على رفع محصول بناته ، وقد يعزى ذلك إلى اعتقاد الفلاح أن الفحل لا يعطى لنا فهو بذلك عديم التأثير على محصول بناته من اللبن والدهن .

لا شك أن هذا الاعتقاد خاطئ إذ ثبت أن كفتى الأب والأم متعادلتان من حيث تأثيرهما على محصول بناتهما من لبن ودهن ، ولذلك كان إهمال انتخاب الفحل معناه إهمال لنصف تركيب النتاج .

والواقع أن اختيار الفحل يجب أن ينال عناية تفوق ما يناله انتخاب الجاموسة من اهتمام ، وذلك لأن الفحل يلقح كل عام عددا كبيرا من الجاموس وبذلك يكون أباً لعدد كبير من العجول والبعجلات ، أما الجاموسة فلا تلد غالباً في العام إلا فرداً واحداً وعلى ذلك فإن تأثير الفحل على محصول اللبن والدهن يفوق أضعاف أضعاف تأثير أى جاموسة .

لهذا كان واجباً على الفلاح أن يتم بانتخاب الفحل الذى يلقح جاموسه وأن يقدر كفاءته الانتاجية قبل أن يفكر فى استخدامه وأن يتخذ من العجول ما كانت أمه عالية الإدرار معروفة بمحصولها الوفير من اللبن والدهن ، وياحبذا لو تمكن الفلاح من اختيار الفحل الذى له بنات ذات إدرار عال إذ فى ذلك دليل على كفاءته الانتاجية العالية وقدرته على رفع محصول بناته من اللبن والدهن .

والواقع أن هناك خلاف ما ذكر أخطاء شائعة كثيرة بين المربين كسوء التغذية وعدم اتزانها وعدم العناية بالجاموس أثناء الحمل لا سيما فى الأشهر الأخيرة وغير ذلك مما من شأنه أن يؤثر على محصول الجاموس من اللبن والدهن فيخفضه ، كما تحول هذه الظروف دون اظهار حقيقة الجاموس وكفاءته الانتاجية .

كما أن هناك نواحى كثيرة يمكن عن طريقها أن يساون الفلاح الحكومة والهيئات العلمية والزراعية على تحسين الجاموس المصرى ورفع إنتاجه .

وربما كان خير طريق الى هذا التعاون هو تكوين جمعية تضم مربى الجاموس فى أنحاء القطر المختلفة تحت إشراف هيئة فنية تقوم بإرشاد المربين الى خير الوسائل لسياسة وتغذية جاموسهم ، كذلك تدلم على أحسن الأفراد وأغلاها إنتاجاً وتختبر الفحول وتقدر كفاءتها الانتاجية وغير ذلك من الاختصاصات التى لا نجد داعياً لبعض فيها .

فاذا ما تعاونت الحكومة والهيئات مع المربين ممثلين فى تلك الجمعية يمكن أن تصل تجاربها الى مستوى عال من الانتاج وبذلك تزيد فى الثروة الحيوانية فى البلاد .